العقد الفريد قراءة في ضوء نظرية الأفعال الكلامية[1]

أ.م.د.حيدر عبد الزهرة هادي علي حسن جمعة
جامعة بغداد - كلية التربية (ابن رشد)

الخلاصة
تتلخص فكرة هذا البحث في محاولة تأسيس مقاربة معرفية لبيان ملامح نظرية الأفعال الكلامية على كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي . لتثبت أنّ الدراسات العربية الأدبية القديمة قد ضمت ملامح كثيرة من هذه النظرية في الجانبين النظري والتطبيقي .

The Unque Necklace ; (Al – Iqd Al – Farid) ; A Reading in the Light of Speech Acts Theory

Assi.Prof.Dr. Haider Abdulzahra Hadi Ali Hassen Jumea
Univ. of Baghdad - College of Education Ibn Rushd For Human Sciences

Abstract
Summed up the idea of this research in an attempt to find the establishment of the knowledge convergence to show the features of verbal acts that occurred a prime location in the lesson deliberative theory book unique contract (IbnAbdRabbaAndalusian) to prove that Arabic was the old literary studies included many of the features of this theory in both theoretical and practical ,

تقع الافعال الكلامية في موقع متميز من الدرس التداولي ، وتمثل مرتكزًا أساسيًا من مرتكزاتها[2].وقد عدّتها فرانسوازأرمنكوتداولية من الدرجة الثالثة[3]. ويعود الفضل في إنضاج فكرتها لأوستن حينما ألقى محاضراته في أكسفورد ما بين عامي 1952م وعام 1954م، ثم ألقى بعدها اثنتي عشرة محاضرة قد جُمعت فيما بعد، ونشرت تحت عنوان (كيف نصنع الأشياء بالكلمات)، وهذا العنوان يكشف عن هدفه المتمثل في كشف الجوانب التي ننجزها باللغة، أو إثبات الخاصية الانجازية للغة، وقد أحدث بذلك طفرة في مجال الفلسفة آنذاك، إذ كان التصور السائد للغة هو أنها تصف الاشياء فقط[4].

وقد فصل أوستن بين مجموعة أحوال للقول الواحد وقسمها على : الحالة التلفظية ، والحالة الانجازية ، والحالة التأثيرية . وفائدة هذا التقسيم تكمن في أن الأول يكشف عن سلامة القول من الناحية التلفظية، والثاني يكشف عن تطابقية القول مع معناه، والحالة الثالثة تكشف عن الجانب التأثيري من الفعل الكلامي، وذلك لا يتحقق إلا بشروط خارجية تتوفر فيه.

وليس للفعل الكلامي حال واحد إذ تتقسم أحواله على[5]:

- فعل القول (actLocutionary): وهو إطلاق الملفوظات على شكل، أبنية أو تراكيب سليمة، وله معنى معين، ولكن يبدو أن المعنى الذي نتكلم عنه هنا هو المعنى الحرفي، وليس المعنى التواصلي. ولنأخذ عبارة معينة كعبارة: السماء تمطر فهي تدل على إخبار عن حالة طقس، ولكن لم يتبين لدينا هنا أهذا الفعل هو تحذير أم مجرد إخبار، ولذلك فإن المعنى الحقيقي للعبارة يبرز في المقام التواصلي الذي يكون فيه. وهذا المعنى هو الفعل المتضمن في القول الذي سنأتي عليه.
وقول شيء ما هو فعل لشيء معين، فهو أي فعل مكتمل التركيب، وصحيح الدلالة وسليم الصوت والصرف.
- الفعل المتضمن في القول: وهو فعل إيعازي أو غرضي يتضمن فعل القول داخله (نية)، وهو ارتباط المعنى بالقصد، ويسمى أيضًا بالفعل التواصلي؛ لأنه يتولد في المقام التواصلي الذي يكون فيه، وهنا تجدر الاشارة إلى أن أي قول يكمن فيه فعل ما قد يكون الاخبار، التحذير، التوقع... الخ. على سبيل المثال أو غرضًا لفعل ما، وهو ارتباط المعنى بالقصد، وعن طريق هذا الغرض نتبين قوة الفعل الغرضي، ونعرف بالتالي إيعاز المتكلم، إن كان يريد التحذير أم الاخبار أو التوقع أو الانذار. إنه الفعل الداخل في القول.
ففعل القول يشير الى قواعد النحو والصرف والمعنى الحرفي، أما الفعل المتضمن فيه فإنه يشير الى قوة الفعل، فيقال إن الجملة تحمل قوة الخبر، أو قوة التحذير، وقوة الأمر[6].
- الفعل الحاصل بالقول: وهو ما نصل الى تحقيقه من فعل شيء وهو يترك صدى فعليا على أرض التحقق، وتشترك هذه الاوجه الثلاثة فيما بينها لتحقيق الفعل الكلامي الواحد(وهي تعبير غرضا ليصل الى التأثير)، وهي غير منفصلة فيما بينها.

وأقرت التداولية شروطاً تحاكم في ضوئها سلامة التواصل هي : الصدق، أي أن تكون عبارات المتكلم صادقة وغير مزيفة. المصداقية، يجب على المتكلم الا يكون مقلا في حديثه بحيث لا يُفهم، ولا ثرثارا[7] بحيث يبعث على الملل .

ومن إضافاتسيرلالفعل القضويأو ما يُسمى بالقضية الى فعل القول أو التلفظ[8]، ونعني به قضية الفعل الكلامي، فقد يختلف الانجاز في العبارة كأن يكون أمرًا، أو نهيًا، أو استفهامًا، ولكن القول بالنتيجة يجب أن يؤدي الى تحقيق قضية معينة، وهو التأثير أو السبب الذي من أجله أُطلق الفعل[9].

وقد حلل سيرل الفعل الكلامي على النحو الآتي: [10]

- الفعل القضوي أو فعل القضية: وهو القضية التي يُطلق لها الفعل الكلامي، مثلا إذا قلنا: التزم زيد بالصلاة، يا زيد التزم بالصلاة، أحب أن يلتزم زيد بالصلاة، نلحظ أن الانجاز يختلف في هذه الجمل؛ فالأولى خبرية، والأخرى أمر، والثالثة تعبير. أما القضية التي تجمع كل هذه العبارات هي قضية الالتزام بالصلاة.

فالأفعال الكلامية تنطلق من فكرة أن الكلام لا يقتصر على الجانب التعبيري فقط وإنما هو عمل بحد ذاته.

وقد اخترنا في هذا الموضع نوعين مهمين من أنواع الفعل الكلامي، هما : الإنجاز والقوة التأثيرية، وما وجدته من شواهد في العقد الفريد يبين التفات ابن عبد ربه الى هذين الجانبين بصورة خاصة وملفته

الانجاز

يتمثل الانجاز عند التداوليين بالفعل الذي يُنجز حين التلفظ بالقول، فهو الفعل المُتَحقق بالقول، وهذا الفعل هو الوظيفة التي يؤديها القول، فالقول لا يُعد تلفظات فقط بل هو وظائف تحققها الناس بوساطته، وهذا ما قاله ابن عبد ربه حين تكلم على المنطق، تحت عنوان: (باب في المنطق)[11]: (قال الذين فَضلوا المنطقَ: إنما بُعثَت الأنبياء بالكلام ولم يُبْعثوا بالسُّكوت. وبالكلام وُصِف فَضْل الصَّمت، ولم يُوصف القولُ بالصمت، وبالكلام يُؤْمر بالمعروف وينْهى عن المُنْكر ويُعظَّم اللهّ ويُسبَّح بحمده، والبيان من الكلام هو الذي مَنَّ الله به على عِباده، فقال: {خَلَقَٱلۡإِنسَٰنَ*عَلَّمَهُٱلۡبَيَانَ}[12]. والعِلْم كلُّه لا يُؤدِّيه إلى أَوْعيةِ القُلوب إلا اللسان، فنَفْع المنطق عام لقائله وسامعه ومن بلّغه، ونَفْع الصمتِ خاص بفاعله.)[13]، فهذا واضح في تباين الاثر الفعلي للكلام فهو يقول: (وبالكلام يُؤْمر بالمعروف ويُنْهى عن المُنْكر ويُعظَّم اللهّ ويُسبَّح بحمده) فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما هي إلا أعمال منجزة بوساطة القول، وهذا ملمح من ملامح القوة الانجازية في الفعل إذ يُسمّي سيرل هذه الاعمال بالطلبيات، وتعني الوظائف التي تُنجز بوساطة الكلام أو القول.

ثم يعقب بعد ذلك بقوله: (والعِلْم كلُّه لا يُؤدِّيه إلى أَوْعية القُلوب إلا اللسان، فنَفْع المنطق عام لقائله وسامعه ومن بلّغه)[14]وهنا يذكر ابن عبد ربه مجموعة وظائف للكلام، ومن تلكالوظائف الوظيفة التعبيرية التي أشار إليها سيرل في نظريته، ونحن لا نتوقع أن يصنف ابن عبد ربه الوظائف الانجازية على نحو ما فعل أوستن وسيرل، ولكنّهالتفت الى مسألة وظائف الكلام، و القوى الانجازية فيه

القوة التأثيرية

وهي القوة التي يحملها الفعل؛ لتؤثر في المقابل، أي إن المتلقي يستجيب للتأثير الانجازي في الأقوال ، و قد أثبت ابن عبد ربه هذا الأثر المُتحقق بالكلام إذ يقول في: (كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك)[15]: (والكلام الرقيق مصايد القلوب، وإن منه لما يستعطف المستشيط غيظاً، والمندمل حقداً، حتى يطفئ جمرة غيظه، ويسل دفائن حقده؛ وإن منه لما يستميل قلب اللئيم، ويأخذ بسمع الكريم وبصره؛ وقد جعله الله تعالى بينه وبين خلقه وسيلة نافعة، وشافعاً مقبولاً؛ قال تبارك وتعالى: {فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ }[16])[17].

فهذا واضح في إبراز التأثيرات المتحققة بالأقوال، وقد تنبه لها ابن عبد ربه؛ إذ إن المتلقي قد يُستعطف ويرد عن غضبه بوساطة الكلام (وإنمنهلمايستعطفالمستشيطغيظاً،والمندملحقداً،حتيطفئجمرةغيظه،ويسلدفائنحقده)،

فالكلام هنا وإن كان انشائيًا بعض الشيء إلا أنه يعبر عن الجانب التأثيري فيه. وهو يقع في دائرة الإشارة النظرية، أما على المستوى العملي فقد دل المثال الذي ساقه بعد ذلك، ولاسيما الآية القرآنية التي توضح التأثير القولي للفعل الكلامي بشكل دقيق، إذ يقول الله جل و علا ما معناه: إنآدم وظّف كلامه ليكون مؤثراً في استحصال التوبة من الله (عزّ وجلّ) . فالأثر الانجازي واضح في الآية الكريمة إذ إن توبة الله (عزّ وجلّ) على آدم (عليه السلام) يشير إلى أن القوة التأثيرية لطلب آدم للتوبة كان ناجحًا؛ [18].

نماذج للتحليل الشامل

وللكشف عن ملامح نظرية الأفعال الكلامية في العقد الفريد لا بدّ من سوق مجموعة أخرى من الشواهد ، وتحليلها تحليلاً شاملاً . فالشواهد السابقة تختص بحالات معينة من حالات الفعل الكلامي، وهذا قد تبين بشكل واضح بوساطة التحليل، ولكن بقية الحالات الأخرى، لا يمكن استجلاؤها الا بوساطة التحليل الشامل، الذي يسهم في توضيح الصورة الكاملة للفعل الكلامي.

الشاهد الأول

جاء في العقد الفريد تحت عنوان: (الاستعطاف والاعتراف): أن (المدائني قال: كان يزيد بن راشد خطيباً، وكان فيمن دعا إلى خلع سليمان بن عبد الملك والبيعة لعبد العزيز بن الوليد، فنذر سليمان قطع لسانه. فلما أفضت الخلافة إليه دخل عليه يزيد بن راشد، فجلس على طرف البساط مفكراً، ثم قال: يا أمير المؤمنين، كن كنبي الله ﷺ، ابتلي فصبر، وأعطي فشكر، وقدر فغفر؛ قال: ومن أنت؟ قال: يزيد بن راشد. فعفا عنه)[19].

مضمون القصة أن يزيد بن راشد قد اقترف جرمًا استحق عليه العقاب الشديد فأخذ الحاكم الأموي على نفسه أن يعاقبه، فذهب إليه يزيد بن راشد طالبًا استعطافه و استسماحه .

نلحظ هنا أن الفعل الكلامي الموجود في هذا النص هو (كن كنبي الله ..قدر فغفر) وهو فعل أمر على صيغة افعل.

وقد حمل أسلوب الطلب في هذه الجملة الفعلية طلباً يتلخص باستعطافهليتأسى برسول الله بهذه الصفات ولاسيما الغفران؛ بحسب قرينة المقام وسياق الحال.فالفعل فعل قولي بحسب ما توافقت عليه قوانين اللغة العربية. أما معناه فهو الطلب بحسب قوانين علم المعاني ؛ لأن المتكلم أقل رتبة من المستمع، وهذا يستلزم أن يكون فعل الامر مجازيا وليس حقيقيا. والفعل الحقيقي هو الدعاء أو الاستعطاف كما هو العنوان الذي أدرج النص تحته. وهذا الفعل الحقيقي هو الفعل القضوي؛ لأن قضية هذا القول هي الاستعطاف، وطلب والعفو. وبذلك يكون هو الفعل المتضمن في القول، لأن فعل القول صيغة أمر ومعناه ليس أمرًا، وإنما دعاء. والدعاء هو الفعل الانجازي الموجود في الفعل.

أما التأثير فيمكن أن نلحظه في آخر النص؛ إذ إنه طلب منه أن يقتدي برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في العفو عند القدرة، وقد استجيب لطلبه فعفا عنه الحاكم الأمويبدليل تذييل الجملة بعبارة (فعفا عنه) .وهذا يبرز الجانب التأثيري للفعل الكلامي.

الشاهد الثاني : ما أورده ابن عبد ربه تحت عنوان: (الوقوفْ على القبور وما بين الموتى) [20]: (وقف أعرابيٌ على قَبْر رسول الله ﷺ فقال: قُلتَ فَقَبِلْنا، وأمرتَ فحَفظنا، وبلَغت عن ربك فسَمِعْنا. {وَلَوْ أَنَّهُمْإِذظَّلَمُوٓاْأَنفُسَهُمْجَآءُوكَفَٱسْتَغْفَرُواْٱللَّهَوَٱسْتَغْفَرَلَهُمُٱلرَّسُولُلَوَجَدُواْٱللَّهَتَوَّابٗارَّحِيمٗا} [21]. وقد ظَلمنا أنفسنا وجِئْناك فاستَغفر لنا. فما بَقِيت عينٌ إلاسالَتْ) [22].

يقف الاعرابي على قبر رسول الله (صلى عليه واله وسلم)، يستذكر أفعاله، وهي التبليغ، والتشريع. ثم يعقب بالآية الكريمة، ويقول له استغفر لنا ذنوبنا .

ففعل القول هو: (ظلمنا أنفسنا فاستغفر لنا)، يطلب الاستغفار ويعبر عن أساه على رسول الله(صلى الله عليه وآله) . والفعل القضوي هو الحزن والرثاء.ومن الواضح أن الفعل المُنجز في القول هو التعبير، أي إن المسألة العاطفية هي المستهدفة من هذا الحديث، ولذلك سالت عيون الحاضرينبحسب جملة (لم تبقَ عين إلا سالت) الواردة في النص ، وهذه العبارة هي فعل غير كلامي يدل على الجانب التأثيري للفعل الكلامي السابق، والذي كان الجانب الانجازي منه هو التعبير عن الحزن.

وبعد أن استعرضنا تحليلات أوستن للفعل الكلامي، تبين لنا عن طريق عرض أقوال ابن عبد ربه أن ملامح هذه النظرية غير بعيدة عنه؛ فقد أشار الى الجانب الانجازي من الفعل على المستوى النظري، فضلا عن إنه أشار الى الجانب التأثيري في المستوى النظري والعملي.

السلوكيات القولية(القوى الانجازية) حسب تصنيف سيرل

يُعد الفيلسوف الأمريكي جون سيرلJohn Searle من أبرز أتباعأوستنومريديه،وقد كان اهتمام سيرل الأكبرفي الأعمال المضمّنة في القول،وهي الافعال الانجازية[23].

وقدصُنفتالافعالالكلاميةبحسبتعديلسيرلعلىالنظريةعلىمجموعةأصنافوهذهالاصنافتعتمدعلىخصائصتتمازبهاهذهالافعال،وعلى الرغممنالتقسيماتالكثيرةالتيجاءبهاأوستنإلاأنهااستقرتونضجتمفهوميًّاعندسيرل.

فقد قسّمسيرل الكلام على أساسالعمل الإنجازي، وهو الجانب المتضمن في القول . والاصناف التي قسم سيرل الأفعال الكلامية عليها هي:

ـ الاخباريات أو التقريراتrepresntatives: وتبين هذه الانواع من أفعال الكلام ما يؤمن به المتكلم، أو ما يعتقده، أو ما يستنتجه أو ما يجزم به أيضًا، أو ما يطلقه من أوصاف على الأشياء، والمطلوب في هذه النقطة أن تتطابق الافعال الكلامية مع الواقع، ومن أمثلة هذا النوع من الأفعال: يزعم، يبلغ، يخبر، يعلم، يقرر، يصنف، يثمن.

ومما جاء في العقد الفريد من عبارات تدل على الإخباريات هي قول الأعراب في المدح؛ إذ وردت تحت عنوان: (قولهم في المدح) [24]: (الرّياشي عن عثمان بن عُمَر عن إسرائيل عن مَيْسرة بن حبيب عن المِنْهال بن عمرو عن عائشة بنت طَلْحَةَ عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: ما رأيتُ أحداً من خَلْق الله أشبه حَدِيثاً وكلاماً برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلتْ عليه أخذ بيدها فقبَّلها ورَحَب بها وأجْلسها في مَجْلسه، وكان إذا دخلَ عليها قامت إليه ورَحَّبَت به وأخذت بيده فقبَّلتها...) [25].

فهذه الأوصاف التي وصف بها الزهراء(صلوات الله عليها)، تُعدّ من الاخباريات لأنها تبيانًا للحقائق، والحقائق هي واقع خارجي يعبر عنه هذا النوع من الكلام، فإنه من الإخبار.

فعل القول: (ما رأيت أحدًا أشبه برسول الله من فاطمة)، ويبرز معنى الجملة في اسم التفضيل؛ إذ أفاد أن المفضل به هو أكثر من يحمل هذه الصفة. الفعل الاخر: (وكانت إذا دخلتْ عليه أخذ بيدها فقبَّلها ورَحَب بها وأجْلسها في مَجْلسه، وكان إذا دخلِ عليها قامت إليه ورَحَّبَت به وأخذت بيده فقبَّلتها)، نلحظ أن الفعل المشبه بالحرف (كان) هو الذي أدى دور الفعل الاخباري هنا، إذ إنه يثبت خبره لاسمه في الماضي. وبذلك تكون هيكلة الفعل الاخباري في هذا النص.

الفعل الكلامي: هو الاخباريات الموجودة في النص، وهي: (أخذ بيدها، فقبلها، رحب بها، أجلها، قامت إليه، رحبت به، أخذت بيده فقبلتها).

الإنجاز: الإخبار عن الصفات الحسنة، والإخبار عن الأفعال الحسنة.

سبب التصنيف: تحتمل هذه الجمل الصدق والكذب.

- **المعبرات expressives:** وتتعلق هذه الانواع من الافعال الكلامية بما يشعربه المتكلم، من الحالات النفسية، أو ما يشعر به تجاه شيء معين. يشكر، يواسي، يهنئ، يحب، يشجب، يستنكر.

ويحفل العقد الفريد بمثل هذهالأنواع من الاقوال؛ لأنه كتاب أدبي، وقد تجلت هذه المعاني فيمجموعة مواضع ، نحو : التعازي والمراثيوالاعتذار، وفصول الشكر والعتاب. إذ جاء في (كتاب الدرة في التعازي والمراثي)[26]قوله : (ونحن قائلون بعَون الله وتوفيقه في النَّوادب والمراثي والتَعازي بأبلغ ما وَجدناه من الفِطر الذكيّة، والألفاظ الشجيّة، التي تُرِقّ القلوبَ القاسية، وتذيب الدموع الجامدة، مع اختلاف النَّوادب عند نزول المصائب، فنادبة تُثير الحُزْن من رَبْضَته، وتَبعث الوَجْدَ من رَقْدَته، بصوتٍ كترجيع الطَير، تُقَطِّع أنفاسَ المآتم، وتترك صدْعاً في القلوب الجلامد ونادبة تَخْفِض من نَشِيجها، وتقْصِد في نحيبها، وتَذهب مَذْهَب الصبر والاستسلام والثِّقة بجزيل الثواب)[27]، فهنا يشير ابن عبد ربه على المستوى النظري، الى أثر هذه الألوان اللغوية في مشاعر الانسان، الى الحد الذي تقطع فيه أنفاسه، و تذهب فيه صبره، و الندبة و النواح يُمثلان فعلا كلاميًا تعبيريا واضحا في الكلام العربي .

ويضيف أنه: (قال عمر بن ذَرّ: سألتُ أبي: ما بالُ الناس إذا وعظتَهم بَكَوْا، وإذا وَعظهم غيرُك لم يَبكوا؟ قال: يا بُني، ليست النائحة الثَّكلى مثلَ النائحة المُستأجَرَة. وقال الأصمعيّ: قلتُ لأعرابيّ: ما بالُ المراثي أشرفُ أشعاركم؟ قال: لأنّا نقولُها وقلوبنا مُحْترقة)[28]، و هنا نلحظ نكتة مهمة في هذه العبارات الأخيرة و هي الإشارة الى الأثر التعبيري لدى هذه الأقوال، إذ يُشترط فيها أن تكون معبرة لتكون ناجحة، فالمثل المعروف (ليست الثكلى كالمستأجرة)، يؤكد هذا المعنى؛ إذ إن المستأجرة لا تمتلك عاطفة لتعبر عنها، و إنما تمثل دور الحزن فقط،أما الثكلى فهي تمتلك كل العاطفة الصادقة، التي تعبر عنها بالنواح والرثاء، و كذلك العبارة الثانية تعبر عن المعنى نفسه إذ يقول الرجل: إنه لا يرثي الا بقلب محترق والقلب المحترق كناية عن عاطفة الحزن الصادقة الكامنة في القلب؛ لذا فإن الشعر الذي ينظم فيه يكون شريفًا؛ لأنه يعبر عن عاطفة.

وكل هذه الإشارات التي سبق ذكرها تقع في الدائرة النظرية، أما الناحية العملية فتتضح فيما أورده ابن عبد ربه من نصوص بعد أن قدم له بتلك العبارات السابقة، ومنهاقول السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) لما وقفت على قبر أبيها (صلى الله عليه وآله) ، تندبه، فقال: (وقفت فاطمةُ عليهما السلام على قبر أبيها ﷺ، فقالت:

إنا فَقَدْناك فَقْد الأرض وابلها ... وغابَ مُذْ غِبْت عنّا الوَحْيُ والكُتُبُ

فليتَ قَبْلَكَ كان الموتُ صادَفَنا ... لما نُعِيتَ وحالتْ دونك الكُتُبُ)[29].

فالأرض عندما تفقد وبلها تجف، وتستحيل الى صحراء، وهذا حال القلوب التي فقدت الأعزة، وتمني الموت قبل الحبيب لهو أصدق تعبير عن منزلة الحبيب في القلب؛ إذ إن الموت أهون من فراقه.

الفعل الكلامي: (إنا فقدناك، فليت قبلك كان الموت صادفنا).

الفعل الانجازي: التعبير عن الحزن.

سبب التصنيف: إن هذه النصوص تعبر عن الحزن بوساطة التصريح عن سبب الحزن في الجملة الأولى (إنا فقدناك)، وتمني الموت في الجملة الثانية(فليت قبلك كان الموت صادفنا)

أما الاعتذار فقد خص له ابن عبد ربه عنوانًا في العقد الفريد سماه، (التنصل والاعتذار)[30]،من ذلك ما جاء فيه : (وقالإبراهيمالموصلي: سمعتجعفربنيحييعتذرإلىرجلمنتأخرحاجةضمنهالهوهويقول:

أحتجإليكبغالبالقضاء،وأعتذرإليكبصادقالنية)[31]، أي إن القضاء هو الذي غلب، أما النية فهي نية طيبة. وهذا ما يُسمى التعبير عن الاعتذار، إذ إن المعتذر قد عبر للمقابل عن عذره بذكر الأعذار التي تبرر السلوك الذي صدر منه.

الفعل الكلامي: ذكر السبب الذي منعه من تنفيذ وعده، ثم الاعتذار الصريح (أحتج بغلاب القضاء، وأعتذر).

سبب التصنيف: الجملة الأولى، تتضمن ذكر السبب الذي من أجله مُنع المتكلم من تنفيذ رغبة السامع ، أما الجملة الثانية فهي اعتذار صريح.

الأمر الآخر الذي يُعد من وجوه التعبيريات، هو الشكر، والذي أفرد له ابن عبد ربه عنوانًا في باب: (المجنبة الثانية في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة)[32]. وهو عنوان: (فصول في الشكر)[33] جاء فيه : (وفصللالحسنبنوهب:

فَيشكركعلىدرجةرفعتَهإليها،أوثَرْوةأفدتَهإياها،فإنّشكريلكعلىمُهجةأحْييتَها،وحُشاشةأبقيتَها،ورَمَقأمسكتَبه،وقُمتَبينالتَلفوبينه.

فلكلّنعمةمنعِمالدُّنياحدٌّتنتهيإليه،ومَدَىيُوقفعنده،وغايةمنالشُّكريَسموإليهاالطَرف،خلاهذهالنَعمةالتيقدفاقتالوَصْفَ،وطالتالشُكر،وتَجاوزتكلفَدْر،وأتتمِنوراءكلغاية؛ردتْعناكيدَالعدو،وأرغمتأنفالحسود،فنحننلجأمنهإلىالظلليل،وكَنفكريم.

فكيفيشكرالشاكر،وأينيبلغجَهدالمجتهد؟)[34]. يقوم المتكلم بمدح المشكور، وذكر فضله عليه، بهذه العبارات التي احتواها النص السابق وذلك كله يعبر عن الشكر.

فعل الكلام: هو الإقرار بالعجز عن الشكر؛ لأن الفضل الذي يُشكر عليه المستقبِل أعلى من ذلك. (فكيف يشكر الشاكر، وأين يبلغ المجتهد).

سبب التصنيف: الإقرار بالعجز عن الشكر هو للتعبير عنه، ولكن بشيء من المبالغة، والتزويقات اللفظية.

أما العتاب فقد أفرد له ابن عبد ربه عنوانًا تحت باب سماه: (فصول في عتاب)[35]. وجاء فيه : (كتبأحمدبنيوسف: لولاحُسنالظنبك -أعزكالله -لكانفيإغضائكعنّيمايَقبضنيعنالطَّلبةإليك،ولكنْأمسكبَرمقمنالرَّجاءعِلْميبرأيكفيرعايةالحق)[36].

يذكر المتكلم أو الكاتب، أخطاء المقابل، أو تقصيراته تجاهه؛ ليتنبه إليها، ويعلم أن المتكلم قد شعر بالضيق منها. فهذا اللون من الكلام يُسمى العتاب، وهو من التعبيريات التي يعبر المتكلم عنها.

فعل الكلام: ذكر التغاضي عن حوائج المتكلم، (لكان في إغضائك عني).

سبب التصنيف: عبر الباث عن موقفه تجاه المستلم، وهذا الموقف يُبرز أن المتكلم قد تأذى من تصرفات المستلم. فالعتاب هو في الواقع تعبير عن موقف سلبي، من تصرفات المقابل.

- **الطلبيات:Directives**وتستعمل هذه الأنواع من الأفعال الكلامية للتأثيرفيالآخرين، بجعلهم يستجيبون الى ما يريده المتكلم منهم، وتروم تغيير الواقع عبر مجموعة من الألفاظ ، نحو : يطلب، يأمر، يمنع، ينصح [37].وما يمثل هذا الفعل في العقد الفريد هي:

- الأوامر: فمن الأوامر الحقيقية التي وردت في العقد الفريد هي أوامر رسول الله (ﷺ)؛ لكونه أعلى من يصدر الأمر بعد الله عز وجلّ. ومنه ما أورده ابن عبد ربه في خطبة الوداع: (فمن كانت عنده أمانة فَلْيُؤَدها إلى الذي ائتمنه عليها) [38].

الفعل الكلامي: (فليؤدها)، وهو فعل أمر حقيقي صادر عن رسول الله صلى الله عليه واله، وهو من الطلبيات التي ترغب في تغيير الواقع ولا تغيره فعلًا، لأن التشريعات تُعد من الأمور التي تبلّغ فقط، ويُلزم المسلم بها إلزامًا إراديًا وليس غير إرادي، كالموت وغيره .

سبب التصنيف: العبارة هي أمر حقيقي، وهي الفعل المضارع المقترن بلام الأمر، وهذا الفعل صادر من جهة أعلى من المستلم.

- المواعظ: وقد أفرد ابن عبد ربه كتابًا كاملا للمواعظ سمّاه : (الزمردة في المواعظ والزهد)[39]، وقسم المواعظ فيه بحسب رتبة الواعظ، فبدأ بالقرآن ثم تدرج الى ما هو دونه، يقول ابن عبد ربه: (ونحن نبدأ بعوْن اللهّ وتوفيقه، بالقَوْل في الزُهد ورجاله المشهورين به، ونذكر المُنْتَحَلَ من كلامهم، والمواعظَ التي وَعظت بها الأنبياء، وأسْتَخْلصها الآباءُ للأبناء، وجَرَت بين الحكماءِ والأدباء، ومَقاماتِ العُبَّاد بين أيدي الخلفاء. فأبلغ المواعظ كلِّها كلام الله تعالى الأعزّ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يدَيْه ولا من خَلْفه تنزيلٌ من حكيم حَميد. قال اللهّ تبارك وتعالى: {ٱدۡعُإِلَىٰسَبِيلِرَبِّكَبِٱلۡحِكۡمَةِوَٱلۡمَوۡعِظَةِٱلۡحَسَنَةِ}[40] إلى آخر السورة. وقال جلّ ثناؤه: {كَيۡفَتَكۡفُرُونَبِٱللَّهِوَكُنتُمۡأَمۡوَٰتٗافَأَحۡيَٰكُمۡثُمَّيُمِيتُكُمۡثُمَّيُحۡيِيكُمۡثُمَّإِلَيۡهِتُرۡجَعُونَ}[41]... فهذه أبلغُ الحُجَج وَأَحْكم المواعظ)[42]. ثم مواعظُ الأنبياء صلواتُ الله عليهم، ثم مواعظُ الآباء للأبناء، ثمّ مواعظُ الحُكماء والأدباء، ثم مَقامات العُبّاد بي أيدي الخُلفاء. ثم قولهم في الزُّهد ورجاله المعروفين، ثم المَشْهورين من المنتَسِبين إليه. والموعظةُ ثقيلةٌ على السمع، مُحَرِّجة على النفس، بعيدة من القَبول، لاعتراضها الشَّهوة، ومُضَادَّتها الهوى، الذي هو ربيع القَلْب، ومَرَاد الرُّوح، ومَرْبَع اللَّهو، ومَسْرَح الأماني، إلا مَنْ وَعظه عِلْمُه، وأَرْشده قَلْبُه)[43].

وإذا ما وقفنا على الآية الأولى وهو قوله تعالى: (ادعُ الى سبيل ربك). نحد أنّ فعل الكلام: هو (ادعُ)، فنجد أن المرسِل هو الله جل و علا، و هو أعلى مرتبة في الكون فكل فعل كلامي أمري يصدر منه لا بد أن يكون حقيقيًا، أي أمر، و المرسَل إليه هو رسول الله (صلى الله عليه و اله) والمسلمين من بعده، مضمون الرسالة هو الطلب من المقابل أن يتوخى الحكمة و الاحسان كي يستميلوا المقابل، و هو كل من كان لديه عقل وضمير و ليس المعاندين فالله يقول في هؤلاء: (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم)[44]، فعل الكلام طلبي لأنه يسعى الى توجيه المقابل ليستجيب لرغبة المتكلم[*]، بخلاف الاحكام التكوينية التي تندرج ضمن الحكميات التي تغير الواقع فعلا[*]، و هذه المباحث تنحاز نحو الابحاث العقدية أكثر من اللغوية ومما أورده ابن عبد ربه تحت عنوان: (مواعظ الانبياء)[45]: (وقال ﷺ: ابن آدم، اغْتنم خَمْساً قبل خمس: شبابَك قبل هَرمك، وصِحَّتك قبل سَقَمك، وغِناك قبل فَقْرك، وفَراغك قبل شُغْلك، وحياتَك قبل مَوْتك)[46].

الفعل الكلامي: فعل الأمر (اغتنم)

سبب التصنيف: العبارة هي فعل أمر حقيقي صادر من جهة عليا الى جهة أدنى درجة.

ومن الطلبيات التي جاءت في العقد الفريد ما أورده ابن عبد ربه تحت عنوان :(قولهم في الاستطعام)[47]، أي كيف يقوم الأعراب بطلب الطعام، أي طلب المعونة من الآخرين؛ بسبب الفقر ومما أورده ابن عبد ربه في هذا المجال: (خَرجالمهديّبَطُوفبعدهَدْأَمنمناللّيل،فَسَمِعأعْرَابيّةمنجانبالمسجد،وهيتقول:

قومممَّعوزون،نَبَتعنهمالعُيُون،وفدَحَتْهمالدُّيون،وعَضَّتهمالسّنون،بادرجالُهم،وذهبتأموالهم،أبناءسَبيل،وأَنْضاءطريق،وصيّةَاللهو وصيةرسوله،فَهلمنأمربخَيْر،كَلأهاللّهفيسفره،وخَلفهفيأهله. فأمرنُصَيراًالخادمفدفعإليهاخَمْسمائةدرهم)[48] فقول الأعرابي (فهل من امر بخير) هو في الحقيقة استفهام بدلالة أداة الاستفهام (هل)، ولكن الجملة تدل على الطلب، أو الاستعطاء فالأعرابي قد استعطى من الحاكم العباسي، وقد أعطاه الحاكم العباسي خمسمئة درهم، وإذا عدنا الى تحليل الأفعال الكلامية، فهو التأثير الذي حصل بوساطة الفعل.

فعل الكلام: فهل من أمر بخير.

سبب التصنيف: يسأل المتكلم عن إمكانية تلبية طلبه، وذلك بوساطة أسلوب الاستفهام.

- **الملزمات أو التعهدات commissives:**ويستعمل المتكلمون هذه الأفعال ليلزموا أنفسهم بفعلٍ يؤدونه في المستقبل، وتتعلق هذه الأفعال بما ينوي المتكلم فعله[49].و قد جعل ابن عبد ربه في كتابه عنوانًا كاملًا للمواعيد سماه: (استنجاز المواعد) [50]، أورد فيه الكثير من الأقوال في فضل إنجاز المواعد، نذكر منها على سبيل المثال: (منأمثالهمفيهذا: أنجزحرماوعد، وقالوا: وعدالكريمنقد،ووعداللئيمتسويف، وقالالزهري: حقيقعلىمنأورقبوعدأنيثمربفعل)[51]، فهذا كله إشارات

نظرية تبين ملامح هذا الصنف من القوى الانجازية، أما الجانب العملي، فقد قام بإيراد الشواهد على الوعود التي تصدر من الخلفاء و الأمراء وغيرهم حتى إن البعض لا يؤدون الحوائج إلا بوعود، وقد أورد ابن عبد هذا الشاهد كدليل على ذلك: (فقال: أحسنت! اجلس،بهذابلغتم،سلحاجتك؟فقلت: ياأمير المؤمنين،تكتبليفيالعطاءثلاثينرجلاًمنأهلي؟قال: نعم،فرضعليّإذاوعدت. فقلتياأمير المؤمنين،إنكمتمكنمنالقدرةوليسدونكحاجزعنالفعل،فمامعنىالعدة؟) [52].

الفعل الكلامي هو: (فرضٌ عليّ إذا وعدت)، وهو وعد قد ألزم المتكلم نفسه به.

سبب التصنيف: إن هذا الصنف من أصناف الأفعال الكلامية يسمى الإلزاميات؛ لأن المتكلم يلزم نفسه بفعل مستقبلي، والوعد هو الانجاز المتحقق المتضمن في الفعل القولي. وقد قال المتكلم، فرض علي، أي أنه قد فرض على نفسه، وقد قال فرض، ولم يقل أفرض على نفسي؛ لأن الفرض مصدر أي اسم، وأفرض فعل والاسم يدل على الثبوت، والفعل يدل على الحدوث، فإذا فرض المتكلم على نفسه بصيغة الاسم فهذا يعني أن المعنى أثبت وأوكد مما لو كان فعلًا.

وهنا يبرز مفهوم تحقيق الفعل العمل بالكلام فنحن عندما نتكلم لا نتلفظ فقط بل نؤدي عملًا معينًا ومن هذه الأعمال هي الوعود، أو الالتزامات.

وأما الوعيد، فهو يُعدّ أيضًا من الملزمات؛ لأنه مما يُلزم به الشخص نفسه بفعل مستقبلي، فقد أورد ابن عبد ربه تحت عنوان: (ما يُأخذ به السلطان من الحزم والعزم)[53]: (ولمامنعأهلمروأباغسانالماءوزجتهإلىالصحاري،كتبإليهمأبوغسان: إلىبنيالأستاهمنأهلمرو،ليمسينيالماءأولتصبحنكمالخيل. فمأمسحتنأتاهالماء. فقال: الصدقينبئعنكلاالوعيد)[54].

فعل الكلام: هو عبارة: (لتصبحنّكم الخيل)، وهي في الواقع وعيد؛ لأنه قد خيرهم بين ذلك وبين الاستجابة لطلبه، والخيل هو تعبير مجازي عن الحرب؛ لأن الخيل هي أحد أدوات الحرب، وهذا مجاز التعبير عن الشيء بآلته[55].

نلحظ في هذا الموضع أنه قد استعمل (لام التوكيد)، و (نون التوكيد)؛ لأن الوعيد يتطلب أن يكون القول مؤكدًا؛ ليُكسبه القوة في الإيقاع.

فالفعل الانجازي هو الوعيد، أما الفعل التأثيري فقد أثر في المقابل، والدليل على ذلك هو عبارة: (فمأمسحتنأتاهالماء).

سبب التصنيف: هو أن المتكلم قد وعد بحرب في الصباح، وهذا الوعد هو إلزام للذات للمقابل؛ ولذلك فهو من الإلزاميات.

- **الاعلانات أو الحكمياتdeclarstions:** وهذا النوع من أفعال الكلام هوالذي يتغير الواقع حين التلفظ به، إلا أنّه يستوجب مجموعة شروط في المتكلم والسياق الذي يحكم المقال، فعلى المتكلم أن يكون في وضع يسمح له بممارسة السلطة أو القضاء أو القرار الرسمي، فضلًا عن توفر السياق المناسب الذي يسمح بذلك كأن يكون الشخص في جلسة رسمية. وهذا النوع من أفعال الكلام يغير العالم بعد النطق به[56]. ومن أمثلته: يعين، يفصل، يسمي، يعفي، أعلن الحرب، استسلم، عفي عنه.

وفي هذه الأقوال يلزم المتكلمامتلاكه الكفاءة التأثيرية التي تؤهله لذلك العمل. ويبرز هذا الجانب في التشريعات، فعلى سبيل المثال تشريعات رسول الله (صلى الله عليه واله) في حجة الوداع مثلا نجد أن رسول الله (صلى اللهوآله) عليه قد ألقى الكثير من الاحكام الشرعية، والتي تعد من القوانين التي جاءت بها الشريعة الالهية، وبمجرد النطق بها تصبح هذه القوانين واجبات وفرائض على المسلم: ومنها خطبته يوم حجة الوداع، ومنها: (أيها الناس، إن دماءكم وأموالَكم عليكم حَرام إلى أن تَلقوا ربَّكم، كحُرمة يومكم هذا في شَهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بَلّغت، اللهم اشهد)[57].

الفعل الكلامي هو عبارة: (إن دماءكم وأموالَكم عليكم حَرام).

سبب التصنيف: إن حرمة الدماء، والأموال، لم تكن لولا، قول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، وقد أصبحت محرمة بسبب قول رسول الله إنها كذلك فقط، أي حصل التحريم بالكلام، فهذا ما يُسمى بالحكميات وهي التي يتغير الواقع مباشرة بعد التلفظ به، وقد ذكرت سابقًا، إن ذلك يكون لأسباب خارجية أيضًا، ومن أهما أن الشخص مؤهلٌ لذلك، ورسول الله يمتلك ذلك التأهيل لكونه ينطق عن الله عز وجل، إذ يقول الله جل وعلا: {وَمَايَنطِقُ عَنِٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡهُوَإِلَّاوَحۡيٞيُوحَىٰ}[58]. ومن الجدير بالذكر، إن التحريم في ذاته هو الذي يمثل صنف (الحكميات)، أي أن هذا العمل أصبح محرمًا، أما من حيث هو أمر للمسلمين فهو من (الطلبيات) أي التزموا بحرمة هذا العمل أيها المسلمون.والخطبة تحتوي على أمثلة كثيرة من هذا النوع .

أما الملحظ الآخر الذي نجده في العقد الفريد، هو اهتمام ابن عبد ربه بمجالس السلاطين التيتمثل موردًا غزيرًا لهذا النوع من الكلام، فقد جعل لها كتابًا كاملا عنونه بـ(كتاب اللؤلؤة في السلطان)[59]،مثل مصداقًا مهما لهذا المعنى. فكلام السلاطين يمثل تقريرا فعليًا، والتقرير هو أحد أقسام الانشاء لأنه يحدث فعلا في الخارج ولا يتكلم عنه ومن المعلوم أن التمييزات التي تميز بين الخبر والانشاء هي النسبة الخارجية[60]، وعلى أية حال فإن الطلبيات والحكميات كلاهما يقعان ضمن دائرة الانشاء؛ لأن الفعل يحدث للتو، ولا يعبر عن شيء في الخارج، فالطلب يريد أن يجعل الواقع متوافقًا مع ما يريد، والتقرير يجعله كذلك، بوساطة القوة الاعتبارية عند المتكلم[*]. ومن نماذج هذا النوع من الكلام ما أورده ابن عبد ربه في موضع آخر تحت عنوان: (لطيف الاستمناح)[61]، فقال : (ودخل أبو دلامة على المهدي، فأنشده أبياتاً أعجب بها، فقال له: سلني أبا دلامة واحتكم وأفرط ما شئت. فقال: يا أمير المؤمنين، كلب اصطاد به، قال: قد أمرنا لك بكلب؛ وهاهنا بلغت همتك، وعلى هاهنا انتهت أمنيتك؟ قال لا تعجل علي يا أمير المؤمنين، فإنه بقي علي. قال: وما بقي عليك؟ قال غلام يقود الكلب. قال: وغلام يقود الكلب. قال: وخادم يطبخ لنا الصيد. قال: وخادم يطبخ الصيد. قال ودار نسكنها. قال: ودار تسكنها. قال وجارية نأوي إليه. قال: وجارية تأوي إليها. قال: قد بقى الآن المعاش، قال: قد أقطعناك ألفي جريب عامرة وألفي

جريب غامرة. قال: وما الغامرة يا أمير المؤمنين؟ قال: التي لا تعمر. قال: أنا أقطع أمير المؤمنين خمسين ألفاً من فيافي بني أسد. قال قد جعلتها كلها لك عامرة)[62].

فالنص السابق فيه غزارة في الأفعال الكلامية ، من أبرزها الطلبيات (أقوال أبو دلامة) وهو يبدأ من جملة (كلب نصطاد به) أي أريد كلبا أصطاد به، والحكميات (أقوال الحاكم العباسي المهدي) وهي محل الشاهد فعل الكلام: (قد أمرنا لك بكلب...) ثم تعطف عليها أفعال مثلها.

سبب التصنيف: هذه الجمل كلها من الحكميات، لأن الخليفة يقرر ذلك، وينطق به فيكون واقعًا. أما الطلب فهو أقوال أبو دلامة لأنه ينطق بالشيء فيطلبه من شخص آخر وهذا الشخص الآخر هو الذي يحقق الطلبة.

فهذه التصنيفات قد صنفت الكلام بحسب نوع القوة الانجازية [63]، وقد اتضحت ملامح هذه التصنيفات بعد استعراض النصوص التي أوردتها من العقد الفريد، حسب السياقات التي ساق ابن عبد ربه النصوص تحتها.

الافعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة

وتنقسم الافعال اللغوية بحسب المتكلم مع الاخر على قسمين، أولهما الافعال اللغوية المباشرة وهي التي تكون متلبسة في صيغ لغوية لا تحتمل التأويل كالأمر والنهي، أما الافعال اللغوية غير المباشرة فهي التي تكون معتمدة نوعا ما على الاستلزاماتالتخاطبية أي المعنى الضمني والافتراضات السابقة [64]. ويبرز ملمح الأفعال الكلامية غير المباشرةفي باب الكناية .

وقد تكلم ابن عبد ربه عن الكناية في باب سماه: (باب الكناية و التعريض)[65]، و لم يكن مفهوم الكناية مخصصًا كثيرًا عن ابن عبد ربه، فقد أدرج تحت هذا الباب مفاهيم كثيرة، أبرزها ما سماه بالمحرم اللغوي، أما الكناية بالمفهوم المشاع لدى البلاغيين، فقط تعرض لها كواحد من هذه المفاهيم التي أدرجها تحت باب الكناية بالمفهوم العام، و لكن القراءة الشاملة للشواهد التي أدرجها تحته، ويستشف من ذلك إن مقصود ابن عبد ربه من الكناية بشكل عام هو مواراة المعنى وراء لفظ يختلف عنه حرفيًا، ومن الشواهد التي أدرجها تحت هذا الباب قوله : (وقالالمعاويةللأحنفبنقيْس: أَخْبرنيعنقولالشاعرِ:

إذَاماماتمَيْتٌمنتميم ... وسركأنيَعيشفجِيءْبزادِ

بخُبزأوبتَمْرٍأوبِسَمْنٍ....أوالشيءِالمُلَفَفِفيالبِجَاد

تراهيَطُوففيالافاقْحِرْصاً .. ليأكلرأسلُقمانبنعاد

ماهذاالشيءالملفّفيالبِجاد؟قالالأحنف: السّخينةياأميرَالمؤمنين. قالمعاوية: واحدةٌبأخربوالباديأظلم - والسّخينةطعامكانتتعملهقريشمندقيق،وهوالحريرة،فكانتتُسَببه) [66].

مجمل القصة إن معاوية قد أراد أن يعيب التميمي بشعر قيل في هجائهم، و مضمون أن رجال هذه القبيلة شرهون جدًا بحيث إنهم يحيون من الموت إذا جيء ببعض الطعام، كالتمر و الشيء الملفف في البجاد(*)؛ فلجأ الرجل التميمي الى الكناية لكي يرد عليه و يدافع عن قبيلته، و لكن ليس بالأسلوب المباشر بل بالكناية، و يبدو أن الرجل كان دقيقا برده على معاوية؛ لأن معاوية قد أعابه بمسألة الطعام، و لذلك رد عليه بعيب قد أعيبت به قريش، و هذا العيب أيضًا يخص مسألة الطعام، و الكناية هنا هي عن معنى معين في جواب الرجل لمعاوية بأن الشيء الملفف في البجاد هي السخينة، فهو يقول له: بأنك إن كنت تعيب الآخرين فلا تنسَ نفسك، فكلٌ منا لديه ما يعيبه، و هذه الكناية قد فُهمت من القرينة الدالة، وهي أن السخينة من مختصات قريش وليست من طعام تميم، فلا بد أن الرجل لا يقول الحقيقة في أن الشيء الملفف بالبجاد هو السخينة؛ و لكن الرجل قد قال ذلك لكي يوصل الى المقابل معنى معينًا ؛ ليرد على معاوية ، و لذلك قال معاوية: (واحدةٌبأخربوالباديأظلم).هذه الكناية تُسمى تلويحًا؛ لكثرة الوسائط الدالة على المعنى، وهي القرائن الدالة.

الاستلزام الحواري: هو المعنى الذي أوصله الى معاوية، وهو أنك يا معاوية لديك أيضًا ما يعيب قبيلتك، فلا تعيب الآخرين بقبائلهم.

سبب الاستلزام: هو الإخلال بمبدأ الكيف، والركن الذي أُخلّ به في مبدأ الكيف هو الصدق، أي إن الرجل لم يكن صادقًا في قوله، وكان معاوية يعلم ذلك. ولذلك وصله المعنى المستلزم من العبارة.

الفعل الكلامي: العمل القولي هو جواب الرجل بأن الشيء الملفف بالبجاد هو السخينة، العمل الانجازي هو يتجلى في المعنى المكني عنه، أو المعنى المستلزم من العبارة، وهذا العمل هو الإخبار ولكن ليس بالمعنى الحرفي للعبارة، بل بالمعنى الاستلزامي لها. أما التأثير فالدليل عليه هو أن معاوية قد وصلته الفكرة، وقال: (واحدة بأخرى والبادي أظلم)، فهذه العبارة تمثل الدليل على العمل التأثيري من الفعل الكلامي.

ومما أورده ابن عبد ربه تحت عنوان: (لطيف الاستمناح)[67]قوله : (ووقفت امرأة على قيس بن سعد بن عبادة، فقالت: أشكو إليك قلة الجرذان، قال: ما أحسن هذه الكناية، املئوا لها بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً)[68].

فقلة الجرذان هي كناية عن الطلب، وهذه الكناية هي كناية نسبة؛ إذ إن قلة الجرذان منسوبة الى قلة الطعام، وهذا يقترب كثيرًا من المثال الذي عادة ما يُضرب للأفعال الكلاميةغير المباشرة.

الاستلزام الحواري:أطلب الطعام.

سبب الاستلزام: هو أن هذه العبارة تخرق قاعدة المناسبة، فالمقام مقام شكاية،ومن المعلوم أن الجرذان من الآفات، والشكاية يجب أن تكون منها لا عليها، فنحن حينئذ نكون مرغمين على تأويل الكلام على منحى آخر، وهو أن الجرذان آفات الأطعمة في العادة، وحيث ما تواجد الطعام تواجدت الجرذان. فإن كان الطعام قليل، فالجرذان أيضا تقل.

وهذا هو تأويل العبارة، وهو الاستلزام الحواري بحسب نظرية جرايس. وهو المعنى الاستلزامي الذي اقتضت الجملة أن تُحمل عليه. فهذا هوالأساس الذي اعتمد عليه سيرل في نظرية الافعال الكلامية غير المباشرة إذ يلجأ المتكلم في بعض الأحيان الى إضمار المعنى في الجلمة كي تكون أبلغ في التعبير وأكثر تأثيرًا للفعل وهذا ما لمسناه في هذه الجملة إذ إن الطالب قد أمر لها بالعطايا. بعد أن أعجبه تعبير المرأة.

الفعل الكلامي: العمل القولي أشكو قلة الجرذان، العمل الإنجازي طلب الطعام، والعمل التأثيري في الفعل نستطيع أن نستدل عليه من عبارة: (املئوا لها بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً).

ومما أورده ابن عبد ربه في العقد الفريد ما يسميه البلاغيون بالتعريض [69] ويعني أنْ يتكلم الشخص بكلام ويقصد شيئا آخر فيرد الآخر على قصده وليس على كلامه الحرفي. وجاء هذا الأسلوب تحت عنوان: (مجاوبة الأمراء والرد)[70]فإن عبد الله ابن الزبير قد قال لعدي ابن حاتم الطائي: (متى فُقئت عينك؟)[71]، و هنا نجد أن المعنى الحرفي لهذا: أن ابن الزبير يسأل سؤالا عاديا عن الوقت الذي فقئت به عين عدي الطائي إلا أن المقصد غير ذلك، وهو: أن ابن الزبير قد أراد أن يعيبه بعور عينه، أو أنه يذكره بالجرح الذي أصابه في المعركة التي كانت معهم آنذاك، و قد فهم ذلك عدي ابن حاتم الطائي، فأجابه على هذا الأساس، فقال له: (يوم قُتل أبوك و هربت عن خالتك)[72] أي إن كنت أنا قد فقُئَت عيني، فأنت قد هلك أبوك و فررت كالجبناء عن خالتك، و يتابع قوله: (و أنا للحق ناصر و أنت له خاذل)[73] أي أنه: حتى و إن فقئت عيني، فأنا على الحق و أنت على الباطل، وهذا الكلام يوضح كيفية الاعتماد على القصد التداولي في توضيح المعنى. والمعنى الضمني في هذا النص هو ما يسمى بالاستلزام الحواري، والاستلزام الحواري هو الفعل الكلامي ذاته، وهو إخبار المقابل بالعيب الذي فيه.

الاستلزام الحواري: هو إعابة عدي ابن حاتم بالجرح الذي لحقه بسبب المعركة التي دارت بينهم من قبل. ونسبة العيب الى الشخص هو من الإخباريات.

سبب الاستلزام: خرق قاعدة المناسبة، إذ يبدو أن المقام هو مقام مناجزة كلامية، والسؤال العادي لا يتناسب مع هذا المقام، فضلًا عن أن عدي ابن حاتم يعلم بأن عبد الله ابن الزبير، عالم بذلك فما معنى السؤال إذن؟ فالعبارة غير متناسبة مع عنصر المعرفة المشتركة بينهما أيضًا. وعلاوةً على خرق قاعدة المناسبة فهو يخرق قاعدة الطريقة في جانب الوضوح؛ إذ إن العبارة إن لم تؤوّلْ الى ما فهمه عدي ابن حاتم، فما معنى العبارة؟ ولا سيما أن عبد الله ابن الزبير يعلم الإجابة؛ لأنه كان الطرف المعادي لعدي ابن حاتم في حرب الجمل، فكل هذه المستلزمات والقرائن المعرفية، تؤدي الى نتيجة واحدة وهي أن للعبارة معنىً مستلزمًا لا بد من تؤيل العبارة إليه.

الفعل الكلامي: (متى فقُئَت عينك)، العمل القولي هو عبارة استفهامية، أي من الطلبيات، أي طلب تغيير الواقع، والواقع بحسب المعنى الحرفي للعبارة هو أنه لا يعلم، فيطلب أن يعلم بالحقيقة. العمل الإنجازي، إعابة عدي ابن حاتم، وهذا من الإخباريات؛ إذ إنه يحتمل الصدق والكذب. نلحظ في هذا الفعل الكلامي أنه فعل كلامي غير مباشر، ولكن ليس بوساطة الكناية فحسب، بل إنه أيضًا عمل قولي إنشائي، يحمل فعلًا قوليًا غير إنشائي

تلك أبرز الملامح التي عبر عنها ابن عبد ربه فيما يتعلق بنظرية أفعال الكلام تطبيقاً وتنظيراً . والتي تثبت بجلاء بروز المنحى التداولي في كتابه (العقد الفريد .)

الخاتمة

تعد نظرية الأفعال الكلامية أحد أركان الدراسات التداولية، وتبرز أهميتها في الكشف عن القيمة العملية لفعل القول بوساطة استخراج مضمونه واستكشاف قوته الإنجازية، وقد تبين لنا بوساطة الأمثلة التي سقناها من العقد الفريد أنواع الفعل الكلامي وأقسامه على صعيد المضمون، أي الفعل المتضمن في القول، وذلك عندما قسم ابن عبد ربه الكلام الى أغراض مختلفة يمكن أن تكون مقاربة لتقسيم جرايس للفعل المتضمن في القول.

علاوة على أن المجاز والكناية كانت من ضمن أوردها ابن عبد ربه في العقد الفريد وهذا يقارب مفهوم الفعل الكلامي غير المباشر الذي يخالف مضمونه بنيته اللفظية.

---

[1] ـ هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الموسومة بـ (المنحى التداولي في كتاب العقد الفريد) للطالب (علي حسن جمعة) بإشراف (د. حيدر عبد الزهرة) -كلية التربية ابن الرشد، للعام الدراسي 2015-2016

[2] ـ يُنظر: محاضرات في اللسانيات، د. خالد خليل هويدي-د. نعمة دهش الطائي، وزارة التعليم العلي والبحث العلمي-جامعة بغداد-كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية-قسم اللغة العربية، بغداد، 2015م: 137

[3] ـ يُنظر: المقاربة التداولية، فرانسوازأرمينكو، ترجمة: د. سعيد علوش، مركز الاتحاد القومي: 60

[4] ـ يُنظر: منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية(مقاربة تداولية)، معاذ بن سليمان الدخيل، ط1، نادي القصيم الأدبي وآخرون، 2014م: 37

[5] ـ يُنظر: نظرية أفعال الكلام العامة(كيف ننجز الأشياء بالكلام)، جون لانكشو أوستين، ترجمة: عبد القادر قنيني، ط2، أفريقيا الشرق، المغرب، 2008م: 125، ويُنظر أيضًا: لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، د. عبد الفتاح أحمد يوسف، ط1، منشورات الاختلاف – الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت – لبنان، 2010م:45

[6]-يُنظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطباطبائي، جامعة الكويت، الكويت، 1994م:8

[7]-يُنظر: النظرية النقدية التواصلية، حسن مصدق، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء -المغرب، 2005م: 128-129

[8] - يُنظر: فعلالكلامالنصي،د. جمعانعبدالكريم،مقالةمنشورةعلىالموقعالألكتروني:www.ta5tup.com (منتدياتتخاطب)، 15/يوليو/2010م

[9] - يُنظر: الكلام عملا (مقاربة تداولية)، د. لطيف حاتم الزاملي، مجلة القادسية للعلوم الانسانية، المجلد السادس-العدد 1، 2013م: 53

[10] - يُنظر: الآليات التداولية لتحليل الخطاب من وجهتي نظر الأصوليين والتداوليين المحدثين، مختار درقاوي، الندوة الدولية الثانية – قراءة التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة (بحوث علمية محكمة)، جامعة الملك سعود – كلية الآداب – قسم اللغة العربية وآدابها، 25-27/2/2014م: 236

[11] - العقد الفريد، الفقيه أحمد ابن عبد ربه الأندلسي ت328هـ، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1404هـ -1983م، 304/2

[12]- سورة الرحمن: 4

[13]- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي: 204/2

[14]- المصدر نفسه

[15]- المصدر نفسه: 3/2

[16]- سورة البقرة:31

[17]- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي: 3/2

[18] - يُنظر: الأمثلفيكتابواللهالمنزل،الشيخناصرمكارمالشيرازي،ط1(التصحيحالثالث)،مدرسةالإمامعليعليهالسلام،قم-إيران، 1426ه 147/1

[19]- العقد الفريد، ابن عبد ربه الاندلسي: 35/2

[20]- المصدر نفسه : 194/3

[21] - سورة النساء: 88

[22]- العقدالفريد،ابنعبدبهالأندلسي: 194/3

[23] - التداولية اليوم علم جديد في الاتصال، آن ريبول-جاكموشلار، ترجمة: د. سيف الدين دغفوسو د. محمد الشيباني (برعاية: المنظمة العربية للترجمة)، مراجعة: د. لطيف زيتوني، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، تموز 2003م ، 33

[24]- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي: 34/4

[25]- المصدر نفسه: 186/3

[26] - المصدر نفسه: 183/3

[27] -المصدر نفسه

[28]- المصدر نفسه

[29]- المصدر نفسه: 194/3

[30] - المصدر نفسه: 17/2

[31] - المصدر نفسه : 18/2

[32]- المصدر نفسه: 237/4

[33] - المصدر نفسه: 316/4

[34]- المصدر نفسه: 316/4

[35] - المصدر نفسه : 311/4

[36] - المصدر نفسه

[37]-التداولية،جورجيول،ترجمةالدكتورقصيالعتابي،ط1،الدارالعربية(ناشرون)، 2010:89، ويُنظر أيضًا: مدخل الى نظرية الفعل الكلامي، جوتس هنده لانج :86

[38]- العقد القريد، ابن عبد ربه الأندلسي: 147/4

[39] - المصدر نفسه:81/3

[40] - سورة النحل: 125

[41]- سورة البقرة: 28

[42] - العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي: 81/4-82

[43]- المصدر نفسه: 82/4

[44]- سورة يس: 10

* من قبيل {وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ} البقرة: 43، و {فَمَنشَهِدَمِنكُمُٱلشَّهۡرَفَلۡيَصُمۡهُۖوَمَنكَانَمَرِيضًاأَوۡعَلَىٰسَفَرٖفَعِدَّةٞمِّنۡأَيَّامٍأُخَرَۚ} البقرة: 185

*- ومنه {وَقِيلَيَٰٓأَرۡضُٱبۡلَعِيمَآءَكِوَيَٰسَمَآءُأَقۡلِعِيوَغِيضَٱلۡمَآءُ} هود: 44

[45]- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي: 84/3

[46]- المصدر نفسه: 85/3

[47]- المصدر نفسه: 13/4

[48]- المصدر نفسه: 14/4

[49] - يُنظر: التداولية، جورج يول:90

[50] - العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي: 204/1

[51]- المصدر نفسه

[52]- المصدر نفسه: 207/1

[53]-المصدر نفسه: 41/1

[55]- يُنظر: جواهر البلاغة،السيدأحمدالهاشمي،ضبطوتدقيق: د. يوسفالصميلي،المكتبةالعصرية،صيدا-بيروت ، 253

[56] - يُنظر: التداولية، جورج يول:89

[57]- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي: 148/4

[58]- سورة النجم: 4،3

[59]- العقد الفريد : ابن عبد ربه الأندلسي 9/1

[60]ُنظر:التداوليةعندالعرب(دراستتداوليةلظاهرةالأفعالالكلاميةفيالتراثاللسانيالعربي)،د.مسعودصحراوي،ط1،دارالطليعة،بـ يروت، 2005م: 61

*- أو الحقيقية إذا كانت صادرة من الله أو من المعصوم

[61]- العقد الفريد : ابن عبد ربه الأندلسي: 214/1

[62] - المصدر نفسه: 219/1

[63] - يُنظر: الكلام عملا (مقاربة تداولية)، د. لطيف حاتم الزامليمجلةالقادسيةللعلومالانسانية،المجلدالسادس-العدد 1، 2013م: 51

[64]- يُنظر: الأبعاد التداولية في المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبي(ت790هـ)، أحمد حسين حيال، أطروحة دكتوراه قُدمت الى الجامعة المستنصرية – كلية الآداب -قسم اللغة العربية، 2015م: 111

[65] - العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي: 294/2

[66]- المصدر نفسه: 295/2

* - البجاد هو القماش المخطط، يُنظر: مجمل اللغة، ابن فارس: 116/1، أما الشيء الملفف به فيقال إنهالحليب الساخن.

[67] - العقد الفريد : ابن عبد ربه الأندلسي : 212/1

[68]- المصدر نفسه: 216/1

[69] - التعريض: والتعريض هو أحد أقسام الكناية، وهو إطلاق الكلام، ليُشار به الى معنى آخر، وهذا المعنى الآخر يُفهم من السياق، يُنظر: البلاغة الواضحة، مصطفى أمين-علي الجارم، دار المعارف: 125

[70] -التعريض: والتعريضهوأحدأقساممالكناية،وهوإطلاقالكلام،ليُشاربهالىمعنىآخر،وهذاالمعنىالآخريُفهممنالسياقلفريد، ابن عبد ربه الأندلسي: 112/4

[71]- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي: 120/4

[72]- المصدر نفسه: 120/4

[73]- المصدر نفسه